

الصورة بين التشخيص وتشويه الواقع

The image between diagnosis and distortion of reality

عمران جودي

جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)، amrane.djoudi@univ-annaba.dz

تاريخ الاستلام: 2025/05/25 تاريخ القبول: 2025/08/10 تاريخ النشر: 2025/09/01

ملخص:

المشكلة الرئيسية في صعوبة ضبط الصورة تتمثل في نمو المعرفة القائم على الإدراك الفردي، دون أن يتأثر في الغالب بشيء بالمعرفة الجماعية، وهو الأمر الذي يجعل من نموها تعبيراً صريحاً لمستوى المجتمع، فإذا كانت العادات والتقاليد غاية إبستمولوجيا تأطير الصورة فإن منطق السلوك لابد أن يتطابق مع النظرية العامة للمؤسسات الجماعية، كيف لا وهذه الأخيرة تجعل من الذات عنصراً رئيسياً في عملية إنتاج المفاهيم المختلفة وتميل إلى تقديس سؤال المصدر، بحيث لا تعتبر عقلانية المجتمع سؤال المصدر عيباً بقدر ما ترى فيه مصدراً إلهام يمنع الذات من التيه أمام انهيار ثلجي للقيم، خاصة في وقت أصبح فيه البحث عن المعرفة النهائية بيت مهجور لم تعد فيه الذات بحاجة إلى معيار يختار ويميز المواقف فيما بينها ولا إلى معرفة سابقة متوقفة في نقطة معينة، من هنا تظهر أهمية تطبيق أطر عامة في كل المبادئ والتخصصات بحيث يصبح فتح أبواب الحوار والدفاع عن وجهات النظر المختلفة أمراً لا مناص منه بغية تأسيس صحيح للسلوك.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، الصورة، السلوك، الفهم، العقلانية، المحتوى.

Abstract:

The main problem in the difficulty of controlling the image is represented by the growth of knowledge based on individual perception, without, in most cases, being influenced by collective knowledge, which is the matter that makes its growth an explicit expression of the level of society. If customs and traditions are the epistemological goal of image formation, then the logic of behaviour must be consistent with the general theory of collective institutions, How could it not, when the latter makes the self a key element in the process of producing different concepts and tends to sanctify the question of the source, so that the rationality of society does not consider the question of the source as a defect, but rather as a source of inspiration that prevents the self from getting lost in an avalanche of values, especially at a time when the search for definitive knowledge has become an abandoned house, in which the self no longer needs a criterion that selects and distinguishes positions among themselves.

Keywords: ethics, image, behaviour, understanding, rationality.

*جودي عمران

1. مقدمة

كنا نتحدث في وقت مضى عن نمط العيش من زاوية كونه كلاً مركباً تتحكم فيه مجموع القيم والمعايير الذي تلونها المشاعر الجماعية، والذي تعتبر لازمة لشخصية الواحد وملزمة لجغرافية المكان، يتم التعبير عن هذه المعايير على شكل أمور مطلوبة أو محظورة أو مفضلة أو مسموح بها، وفي الوقت نفسه تكتسب مشروعيتها من الجماعة باعتبارها أحد الموجبات التي تنتقل باللفظ إلى السلوك مدعومة بالإستحسان أو العقاب، يستوعبها العالم بدرجات مختلفة فتشكل له ضميره الجمعي وأناه الشخصي.

من هنا - ولو إلى حد ما - يمكننا القول أن مجموع تلك القيم أحدث صورة واضحة المعالم لصورة الفرد فيما يعقب من الأيام والسنوات، ولن يكون لها الحق أن تتصرف بمعزل عن شروط الجماعة والعيش معا؛ بمعنى أن نشاطا كهذا لابد أن يقف على مجموعة من الخصائص، كالجماعية والنقد الذاتي والإبتعاد قدر الإمكان عن قرارات من شأنها أن تكون وليدة الهوى والذاتية، ويمكننا أن نشدد في هذا المستوى على فكرة الأعراف كضرورة صريحة ومهمة على مستويين:

بالنسبة للشخصية تجعلها أشبه بالبناء الذي يشدّ بعضه البعض، ولنا هنا بصدد الحديث عن طريقة نظرتها إلى الوجود بقدر ما نحن نشير إلى طريقة تحققها في ذاتها، لأن من سمات السلوك أنه تراكمي نسبياً؛ وبالنسبة للشخصية فإن النمط العام المؤطر لكيانها يؤهلها لوضع حد فاصل بين حريتها الفردية واستقلالها الذاتي في مرحلة التفاعل مع الذات الأخرى، من هنا تصبح قضايا السلوك ومشكلاته محل اهتمام الجماعة في إطار البحث بعيدا عن الإهتمامات والمشكلات الشخصية، ولذلك نحن هنا إزاء ثنائية مهمة متمثلة في الكون الموضوعي الحقيقي للذات والصورة التي ترسمها الجماعة باعتبارها تمثلات، وذلك من خلال نظرة وجودية شاملة ونحن نعتبر أن الذات والصورة متفقين تمام الإتفاق (الإتفاق بين عقل الإنسان وأشياء الكون).

إن بناء الصورة - حسب ذهنية النمط - يقوم على تحليل رغبات الذات من جهة والرغبة إلى نمذجتها وفق حاجة المجتمع إليها من جهة أخرى، فالوصول إلى شخصية متزنة ليس مجرد عمل ميكانيكي فقط بل هو ابتكار تتقاسمه التجربة والقوانين الأساسية التي هي من خلق العقل الإنسان، وذلك تفاديا لكل أيديولوجية مقبلة تعمل على صناعة صورة الذات حسب المقاس أو حسب الطلب، ولعلّ توحيد الرؤية على مستوى الإجتماع الواحد كفيل بتوحيد المجال الذي يلغي جميع الفروق المختلفة ويبقى الحلّ الناجع الذي يستبعد العشوائية في المجتمع، ويبقى ذلك التوحيد بمثابة التفكير المنهجي الذي نوجهه نحو اكتشاف الإرتباطات التي تنتظم وفقا لها مختلف تجاربنا الوجدانية والحسية، ومن المهم أن نخص بالذكر أن عملية ضبط الصورة صيرورة لا يتم إدراكها إلا من خلال مؤسسات اجتماعية وتقنية وثقافية يشترط فيها أن تكون تقدمية بالدرجة الأولى، فالحقيقة العلمية تنتقل

بسهولة إلى الشّك والإنكار، والتطوّر المستمرّ لأنماط العيش يحدث في مجتمعات من مستوى معيّن يجمع بين المسلّمات الضمنية والضوابط المؤسّساتيّة.

2- في حيثيات الصّورة:

ربّما كان من الصّعب بمكان أن نتّفق على المعنى المقصود لكلمة "صورة" image، خاصّة عندما يتعلّق الأمر بالشّخصيّة في أطوارها المختلفة من الطّفل إلى الشّيخ، فعلم النّفس مثلاً في دراسته لهذه الصّورة لم يستطع تناولها بعيداً عن المظاهر الاجتماعيّة المؤسّسة لصورتها (الإنحراف، الإنتحار، الإسقاط، الأنا الأعلى، الخوف المرضي،...)، هذا السّعي نحو ضبط صورة السّلوّك في مرحلة مستقرّة ومعينة باستعمال التّفكير المنظمّ منجّه، ومحاولة تجميع كلّ الظواهر الممكن إدراكها حسّيّاً في هذا العالم من جهة أخرى، في ارتباط شامل بقدر الإمكان مع صور الضبط الاجتماعيّة ونقصه بالدّرجة الأولى المجتمع والأسرة، وتفهم الذات ارتباطاً سلوكياتها بالجماعة على أساس نوع من الضّروية، لكنّها تعود إلى القول بقبول الطّروف المحيطة بها ترغيباً أو إكراهاً، وهو ما من شأنه أن يحطّم ذهنية النمط أو الصّورة في حالة تعارضها مع الطّروف السّائدة، ممّا يستوجب إعادة النّظر في الشّروط في علاقتها بالسّلوّك الصّادر عن الذات، إذ تقوم التّصاوير الرقمية الجديدة بإنتاج معرفة وسلطة لأحد لإغرائها (دوبري، 1994، صفحة 296).

نحن ندخل عالم الصّورة ببريق ألوانها بعدما تعودنا كثيراً على تعاليم الجماعة وحكايات المعمرين من النّاس، لم تعد معرفتنا تتطلّب فهماً صحيحاً لماهية الموجودات المحيطة بأحوال المنظومات والتّطبيقات المختلفة؛ ونقصه بالدّرجة الأولى طريقة تواجدها مع جميع الأطر التي تفرض علينا نوعاً من التّواضع التّواضعي بين بداية الصّرة النّمطيّة وطريقة انتقالها من شخص إلى آخر، وذلك موازاة مع كيفية استقبالها من شخص لآخر، لكن يبقى الأهمّ في كلّ هذا التّحكّم في الفهم الصّحيح لهذه الحركة الصّناعيّة، وتبقى أحد أهداف الصّورة هو صناعة الأشخاص على شكل بيانات ومعلومات بطريقة عصريّة تسمح باستخدامها وفق ما يتوافق مع الرّؤية العامّة لمؤسّسة التّسويق؛ فالصّورة طعم مثير في الغالب يتعلّق بأرقام أو أسماء وعناوين تسمح بتضاعف متابعها بشكل يفوق التّصوّر وهي تصبح سياقات فكريّة بمجرد أن تتحوّل إلى استعمال يومي ممنهج، وبهذا تتحوّل إلى معرفة بمجرد أن تصبح عادة أو بعبارة أخرى عملاً أوتوماتيكياً.

هذا النّهج الأوتوماتيكي للصّورة أدّى إلى انهيار كلّ معرفة تزعم بأنّ معرفتنا بالعالم الخارجيّ هي معرفة تركيبية قلبية، وأنّ قوانين الحياة العامّة هي قوانين متوارثة بالتّربية بمعنى أنّها ليست قوانين ضروريّة يفرضها علينا العقل ذاته، ومع ظهور القنوات التّلفزيونيّة الضّخمة في مطلع القرن العشرين تحوّل اهتمام الدّوات من المكتوب نحو المرئي، وأخذت على عاتقها مهمّة صياغة مواقفها إزاء المجتمع بطريقة تختلف عن تلك التي كانت سائدة زمن النص والتي كانت تعبّر عن مفاهيم المجتمع والأسرة بصفة الثّبات والمطلقيّة، الأمر الذي يجعلنا ندخل مرحلة ينهار فيها إطار الكتابة والواقعيّة النّقدية إلى مرحلة تعبئة الجماهير بمنطق الصّورة؛ بحيث لم نعد نعرف بالقيم الاجتماعيّة ومبدأ احترام الأخ لأخيه إلّا وفق منظور الصّورة الموجهة خاصّة وأنّنا نعلم أنّ قوّة الصّورة تكمن في كونها لا تقبل أيّ صبغة تحليليّة لأنّها استهدافيّة بالدّرجة الأولى، وأنّ جميع تطبيقاتها على الواقع الفيزيائي لها صحّة تجريبيّة لا يمكن أن تصحّحها القيم لأنّه لا توجد معرفة تركيبية قلبية، وأصبحت كلّ الحقائق المتعلّقة

بالعالم الطّبيعي عناصر لمادّة الصّورة التي تستنسخ عالم الأجسام بروابط وثيقة وتأثيرات متبادلة فيزيائية أو عقلية وفق نرجسية مريضة، فالصّورة على أنواعها سواء تعلّق الأمر بالبرامج التّلفزيونية أو الصّفحات الإشهارية عليها أن تستنطق الواقع كما هو دون أيّ إضافة اعتباطية من أيّ طرف، ودون ذلك سيكون موضوعها فسخا لواقع النّاس وتعاليا على موضوعيّة فهمهم لما يحيط بهم من أحوال، لأنّ الحديث عن العالم يعني أنّنا أمام كلّ متكامل منظّم ومنسجم على السّواء (Floyrac, 1858, p. 56).

3- الصّورة والقيم:

نحن إذن أمام صورة تنتصر على حساب روح منهارة تماما، انتصار تغذّيه أنويّة متعالية عن كلّ شيء اسمه المقدّس؛ إذ تغدو القيم هنا خطاها في حاجة إلى خطاب آخر يفكّكه ويبرز قيمته من منطلق الحاجة، غير أنّ قواعد تفكيك رموز القيم يبحث عنها العقل في المقدّس وفي قناعاته التّراثية وليس في هيمنة الصّورة، الأمر الذي يفضي إلى ومن جهة أخرى يمكننا القول أنّ محاولة تأسيس الصّورة تأسيسا ذرائعيا انطلاقا من اختيار أنوي هو في حدّ ذاته بحاجة إلى اختيار عقلاني، وكأنّ الصّورة هنا بصدد البحث عن شيء تريده في المقدّس، ونحن بهذا ننادي بقراءة الصّورة لضمان أكبر عدد من الإستقلالية (Joly, 2009, p. 36)

من قال أن العبودية انتهت؟

إنّ سؤال كهذا يجعلنا نفكر في طبيعة العقلية ذاتها والتي تنطلق منها الصّورة قصد التّحكم في الظّواهر والسيطرة على الطّبيعة، وقد استخدمت هنا مصطلح العقلية للتعبير عن فكرة الخصوصيّة (الموروث الثقافي والغاية والتّقدّم)، باعتبار أنّ - الأفعال التّقليدية التي تتعلّق بالعادات (أكل، شرب، نمط عيش...)، والأفعال الوجدانية التي توجّه العواطف والأحاسيس المختلفة، مشروطة بالأفعال العقلانية التي تتّجه صوب القيم أو صوب هدف نفعي ينطوي على المواءمة بين الوسائل والغايات، ونحن نطلق على مشروع المواءمة هذا كلّ نظام وكلّ نسق من المبادئ الكلية الثّابتة المنظّمة لمعطيات التّجربة الحسيّة، وبالطّبع لن يكون تفكيرنا معزولا عن الوقائع المباشرة والمشاهدة، وليس بحثا يذوب في الإتّصال الكامل والمطلق مع الواقع، إنّها تجربة فكر عبوديّ لجميع أشكال الوساطة الخادعة التي تفرضها تقلّبات الحياة النّفسيّة وتجاوزات الصّورة، وعندما نتحدّث عن تجاوزات الصّورة التي تنفث سمومها بطريقة ناعمة، فإنّنا نقصد إلى حدّ ما أنّ الأسس الجوهرية لبنية المجتمع والطّبيعة- على حالها اليوم- مفصولة تمام الفصل في شتّى مظاهرها عن إشكاليات الفهم في ظلّ الواقع المريض، حيث أضحي المزج بين الخواص الأولى والثّانوية الميدان الخصب والملائم الذي يسمح للصّورة بأن تتطوّر هنا وهناك في نفس الوقت.

قراءة أخرى للصّورة، ترفض النّسقية باعتبار أنّ العلم يبدع فلسفة للحياة والتي ليست بالضرّورة فهما للصّورة، فالإتجاه العلمي ينبغي أن يسير في الإتّجاه الذي درج الفلاسفة السير فيه: أي أنّ الأمر أصبح يقتضي الإنطلاق من المعرفة إلى إنتاج الصّورة، ويمكننا أن نقف على عدد الإجابات الموجودة في مشاهد التيك توك Tik Tok والأنستغرام Instagram والتي تركّز في موضوعها على عرض فهم سخيّف وانحلال عنيف لتظهر المهمّة الأولى للصّورة في إقصاء خصوصيّة الأفراد واستبدال نشأتها وأصولها بأشكال وظيفيّة تغرّد خارج السّرب، وتنظر العقلانية إلى هذا إلى هذا البناء الوظيفي على أنّه وهم يقوم على تصور مغلوّط لعلاقة الدّات بالفهم، وهم يجعل

من الأيديولوجيا قراءة تقوم بها الصّورة للفهم وليس العكس، وهو ما جعل العقلانيّة المعاصرة تطيل النّظر إلى الدّات عبر نافذة ماديّة تاريخيّة بحثة.

"قلوب تعيش داخل قوالب جاهزة وليس لهم إلّا إضافات من خارج القالب"، عبارة أقرب ما تكون إلى السّخرية لكن الحقيقة تقول بها كواقع، وقد تبنتها الصّورة بقوة لما ثبت لها من فعاليّة في مختلف المجالات، وهو ما خلق نوعا من الإزدواجيّة في طريقة تصوّر الأنموذج المشهدي الذي سيخدم بدوره تطوّر مختلف المعارف البشريّة حسب الحاجة، وأقصد التّصوّر الذي سيتراوح بين إضفاء الصّبغة الصحيحة على الواقع (كما هو الشّأن في التّراث والمقدّس) أو إقامة الصّورة على أسس الحاجة والتّحديث الرّائف (كما هو الحال في الإعلام السّخيف)، وإلى جانب هذا تعمل الصّورة اليوم على محاربة الحقيقة ومنع الإشتغال بالواقع، وتعتبر في ذلك ضربا من تحديث المفاهيم ومواكبة العصر، كما تحرص على عدم تسمية الأشياء بمسمّياتها لكي يبقى العقل مربوطا في عقاله يحمل أسفار الأيديولوجيات إلى غايات لا يعلمها إلّا مخرج الصّورة، لأنّ الصّورة تخفي أكثر ممّا تظهر وهي تريد بهذا السّكوت أن تفرغ المحتوى من دعائمه الأساسيّة التي تعتمد على الوقائع الحسيّة وتطهير الوعي من كلّ ما هو مكتسب بالتّربية، حيث لا يصحّ الحديث عن معرفة مفارقة للعقل بل المعرفة نتاج لمجموعة من النّظم المرتبة بعديّا.

4- العقل ومحاولة تنميط الصّورة:

لم تعترف الصّورة مطلقا بسلطة العقل لكنّها حدّدت دوره الحقيقي بتبيان طريقة استعمال المعطيات العقلية لبناء مفهومي وضعي للعالم، كما أنّ المعطيات العلميّة والتّجربة لا تبيّن أبدا ما يجب أن تكون عليه الأشياء، بل تكتفي بوصفها فقط، وهنا لا يمكن أن يصل الإنسان إلى تحديد حاجياته إلّا بعد أن يقف على المشكلة الرئيسيّة التي يريدها، وعندما يبحث عن شيء ما فإنّه يجده في الصّورة؛ إذ يكفي رؤية جسد مثير في علبة الغسيل لاقتنائها والتّشهير لرموز معيّنة لإحلال صور نمطيّة تقتل فكرة الدّوق والإختيار لدى الأشخاص، لذا يعتبر نقد الحياة ومشاكلها ضروريّا من أجل دعم معتقدات الإنسان من زاوية أنّ مطالب الرّوح أسمى من مطالب الجسم.

تحديد مجال الفلسفة كي ينفرد الفعل الفلسفي بإطاره العملي ومجاله المفاهيمي، وهو أمر يتطلّب بدوره نقطة ارتكاز يجعل من النّسق الاجتماعي بحثا في العلم وقضايا العلم من حيث هو تأكيد للغاية الفلسفيّة وتدعيم لها، لخلق إشكاليّات ومفاهيم جديدة وكذا منحها مادّة البحث، وإنّ أيّ دراسة تكون جديدة بهذا الإسم (فلسفة الصّورة) شرط أن تكون بإمكانها أن تقترح إثباتا لأساس الواقع؛ والطّريقة المثلى لبلوغ هذا الهدف هو عدم التّناقض والتّفريق بعناية بين مختلف الحقائق التي تحتلّ بدورها موقعا وسطا بين النّظرة الموضوعيّة للموجودات والتّصوّر الدّاتي للحقائق التي لا تستطيع أن تملك إلّا مجالا ضيقا من الفهم، وأن لا تفترض بصفة نهائيّة في العالم إلّا ما يمكن أن يكون بالمقابل موضوع التّمثّل والفهم، بمعنى ما يرتدّ إلى الواقع مرفقا بـ "بالمواقف والأحكام" التي تنتهي إلى سلوكات معيّنة تتراوح بين الواجبات المعياريّة والشّروط الوضعيّة، وذلك قصد خلق نوع من التّوازن بين أفكارنا ونشاطاتنا، ومنه فإنّ أيّ محاولة للإحاطة بالدّات في إطار القانون التّأسيسي للشّخصيّة يجب أن يقف على جلّ المظاهر العامّة للتّطابق الرّوحي بالطّرفي (Le temporel et le spirituel).

إضافة إلى عاملي التّصوّر والفهم يمكن إضافة الموقف التّقدي كسلوك جريء لتصحيح نظرة الدّات إزاء العالم، وهو موقف تمخّض عن مجيء فلسفات مختلفة جمعت بين القدرات الفطريّة التي تقبع في الدّات الإنسانيّة باعتبارها كيانات رويّة من جهة ومجموعة من الرّوابط والعلاقات السلوكيّة التي بوسعها أن تتحدّث عن نسقيّة هامة وضروريّة لتحديد معالم الشّخصيّة من جهة أخرى، وهو الأمر الذي يمكّننا من خلاله ربط السلوك بالفهم Entendement والعقل Raison والأحكام Les jugements.

يبدو أنّ مناقشتنا تعود بنا إلى القول أنّه إذا رغبتنا في اكتشاف حقيقة الصّورة، فإنّ القراءة الوحيدة والسليمة هو أن نخرج صوب واقع النّاس ونستفسر عن نظرتهم للحياة، وهو ما يمكّننا من تحسين تشخيص سمات السلوك في جملته، كونه المنهج الرّاسخ الذي أرادته وجربته الواقع، إذ لا جدوى من مساءلة عقولنا بصفة ذاتيّة بمعزل عن هذا الأخير، كون أنّ مساءلة الطّبيعة تدلّنا على حقائق عن الطّبيعة وحدها ومساءلة عقولنا تخبرنا بحقائق عن عقولنا وحدها (جينز، 1981، صفحة 112)، ولما كان السلوك ونتائجه خلاصة لمجموعة من التّأثيرات والتّأثيرات المحسوسة فإنّها الكفيلة بحلّ مشكلات الإنسان الماديّة.

5- مسار القيم:

قد نتصرّف بطريقة غير مقبولة أكثر من مرّة ونظّل نؤكّد أنّ تصرّفنا في تلك اللّحظة نابع من شروط مقبولة أو على الأقلّ يملها الواقع باسم الظّروف، كما لو أنّنا نقرّ مسبقا (بداهة) أنّ الواقع هو من يتعارض مع منطق الصّورة وليس العكس، تماما كما رأينا قبلا مع سقراط بأنّ المعرفة الهندسيّة تنبع من الدّهن لا من الملاحظة؛ ففي مرحلة توليد الأفكار – على ضوء منهجه- كان يساعد محدّثيه بالأسئلة والإعراضات مرتّبة ترتيبا منطقيّا للوصول إلى الحقيقة التي أقرّوا أنّهم يجهلونها فيصلون إليها وهم لا يشعرون ولا يحسبون أنّهم استكشفوها بأنفسهم: "كنت أشرف على الولادة، لا ولادة الأجساد بل ولادة النّفوس كانت لي القدرة على توليد الحقيقة في النّفوس الحبلية بها"، ففي محاوره "مينون" يستدعي سقراط عبدا صغيرا لم يدرس الهندسة مطلقا ويرسم أمامه شكلا هندسيّا فيأخذ في سؤاله حتّى يحيله إلى الإجابة الصّحيحة ويتوصّل إلى قضايا هندسيّة، فالعبد الصّغير استقى المعرفة من ذاته حيث كانت موجودة فيها فتذكّرها (بدوي، 1984، صفحة 577)؛ هذا ما يشبه دور الصّورة اليوم كونها تريد أن تحلّ محلّ الأفكار الفطرية في الدّات الإنسانيّة وبمجرّد أن تتعارض مع الفهم في ارتباطه بالواقع، تزيد من غلوّها وطغيانها لتقول بنسيان الدّات لحقيقة مفاهيمها، أو توهمها بأنّ الوقت تغير ولا بدّ لها من تصحيح مفاهيمها في زمن الحداثة وهيمنة المادّة.

نتيجة هذا التّحليل هي أنّ العقل عاجز أو يبدو عاجزا على كشف الخصائص العامّة للموضوعات الماديّة، وتلك في الواقع نتيجة تدعو إلى الإستغراب، إذ سنكون أمام مشكلة حقيقيّة إذا كانت مهمّة العقل مقتصرة على الوظيفة التّحليليّة، فمن الممكن أن يعرف العقل أنّ الصّورة في تعارض مطلق مع القيم الإنسانيّة، لكنّه عاجز تماما عن إصدار صكوك الاتّهام لتجاوزات الصّورة ومن ثمة محاكمتها أمام ميزان القيم ومحاولة إعادتها إلى سياقها المشروط، بقي أن نعرف أنّ أحكام العقل قد تفيد في إيضاح ما نتحدّث عنه ولكنها لا تمدّنا ببرهان إذ أنّ البرهان مسألة استدلال لا

ملاحظة، ولكي نقوم بالإستدلال لابد من تصوّر محاكمة ومقابلة بين قيم المجتمع وإنتاج الصّور؛ فالحقيقة القيمية نتاج العقل في تطابقه مع الزّوجي وهذا يجعل منها أرفع من الحقيقة التجريبية التي يتمّ الإهتمام إليها عن طريق استهلاك الصّورة دون نقد وتمحيص؛ كمثال أصبحت المرأة تتحدّث عن الإباحية بطريقة عادية جدّا، وتتناول موضوعات يخجل الإنسان أن يسمعها لكي لا يفقد مكانته مع ذاته، أصبح من الممكن جدّا أن تظهر الجيب والسّاق لحصد أكبر عدد من المشاهدات لتحصيل مبلغ ماليّ معيّن، وصار كلّ شيء وفي لحظة معينة قابلا للبيع على حساب الأنفة والسّمتة الطّيبة، ونحن نربط الفكر بالسلوك ضمن إطار التّحقيق لذا فإنّ الفكر هو ما تحقّق، والفكر الهادف من شأنه أن يفصح عن سرّ تطوّر النّتائج التي يصل إليها وأحيانا حتّى تلك النّتائج التي ثبت خطأها بمرور الوقت، فعلى سبيل المثال كان ينظر إلى المرأة نظرة عرفية تنطبق على تقويم مفاهيمي مجتمعيّ، ثمّ استعمال حضورها لمعرفة مدى قوّة ومتانة المجتمعات؛ ما نريد قوله هنا إنّ الصّورة يقابلها فكر تجريبي يفرض على العقل الخضوع إلى الواقع، كما أنّ جدل العقل والواقع يقوم على أساس المشروع القيمي وإنّ تأمل الدّات للموضوع ليأخذ في الفكر الإنساني دوما صيغة المشروع الأخلاقي، ويحقّق النّاس الشّروط الضّروري لهم ليكونوا مع العالم بقدرتهم على الإبتعاد الموضوعي عنه، فبدون هذا التّموضع والذي يوضع له الإنسان نفسه أيضا، لظّل الإنسان محدودا بكيونونيته في العالم، ومعتقدا لكلّ المعرضين، معرضا نفسه ومعرفته بالعالم (فيري، 1995، صفحة 71).

6- نحو أخلاق بديلة:

الأخلاق لا تنشأ من الفراغ يعني أننا لا نتصرف بطريقة معينة أو نعتقد أنه ينبغي على الآخرين التصرف بطريقة معينة، نحن نحدد أفعالنا لأسباب، فالعديد من الأسباب التي تجعلنا نعتقد بأن بعض الأفعال المعينة هي صحيحة أو خاطئة جيدة أو سيئة، تعتمد على حالة العالم الذي وجدنا أنفسنا نعيش فيه، فما نعتقد أنه واجب علينا فعله (وما نفعله غالبا)، هو في مكان آخر يعتمد بشكل كبير على ما نفهمه من طبيعة العالم، فالتغيير الأخلاقي يتأثر فقط بوسائل تعديل نظرة الشخص إلى العالم وطريقة تصوّره له.

ثمّ إنّنا نعتقد ولو في حالة ضعف أنّه يمكن الخلاص من هيمنة الصّورة خاصّة المتحرّكة منها، وذلك من منطلق أنّ التغيير في ضميرنا الجمعي يجب أن يتبع تغييرات أساسية في وعينا الجماعي، إذ لم تحقّق تغييرات هامة أبدا بدون تغييرات داخلية على مستوى تأكيداتنا الثقافية، إلزامتنا، تأثيراتنا ومعتقداتنا، بقي أن نعرف أيضا أنّ الخلق البيئي المناسب لن يكون مناسباً إلا بتحويل المعرفة والميتافيزيقيّات البديهية التي تؤمن بها، فالكثير من الحقائق التي نؤمن بصحتها، جاءتنا عن طريق علاقة الإنسان بالطبيعة في شقّها النّفسي والفيزيائي. إنّ علم الأخلاق يتحدّى بوضوح النظرة المزاجية الحديثة في علاقة الإنسان بالطبيعة، والتركيز على الأنظمة الصّناعية والأصناف المالية كأنظمة علاقة متبادلة في المؤسّسات الإنسانية يجعلها غائية ومؤقتة، وكلّ تغير طفيف في تلك الأنظمة سيعرقل بشكل كبير نظام تحصيل سلوكات أخلاقية في المجتمع، حيث يكفي أن نفهم أنّ الأخلاق ليس عبارة عن مجموعة حقائق مفاهيمية مهمّة وفقط، وإنّما برامج مؤسّساتية أصلية هادفة إلى تحسيس الدّات بضرورة خلق أنماط معرفية متوازنة مع السلوك، وتكون مهمّة تلك البرامج تحويل النظرة إلى العالم من زاوية الخلق والكشف والتحرّر من السيطرة بكافة أشكالها، وهو ما يفضي إلى تصرّفات أخلاقية مرافقة للشّخصية مثل الهدام المحترم والحوار المتمدّن والنّقد البناء، وتلتقي هذه المفاهيم جميعا في كونها تؤمن بالوعي إلى درجة التّقديس، وتحقيق الفرد لذاته على مختلف الأصعدة،

وعليه يمكننا القول أنّ الأخلاق تنمية وتخطيط عقلائيّ يقوم على تواجد الذات في اقترانها بعلومها وحرّيتها في إطار نوع من الكلاّنية التي تتوافق مع الإطار العام للتّواجد الجماعي (Gulley, 1968, p. 75)، والتي تهدف بدورها إلى تخليص الفرد من جميع أشكال الهيمنة الدّينية والإجتماعيّة والسياسيّة، وترافقه ليكون فاعلا وفعّالا في كلّ مؤسسات الدّولة، ومنه فإنّ عبارة "الأخلاق البديلة" لم تعد صالحة الإستعمال في زمن أضحى فيه التمسك بالأخلاق ضرورة ملحة لتماسك الجسد بأعضائه فقط لأنّنا ننقل من "خطر الصّورة إلى الصورة في خطر".

أصبحت إمكانية نشر العنصريّة أسرع من زرع قنابل الفتك؛ إذ يكفي التفوّه بكلمة في أحد المواقع التّابعة لقنوات التّواصل الإجتماعي حتّى ينقسم المشاهدون إلى مؤيّد ومعارض دون أدنى فكرة مسبقة، وكلاهما لم يستطع بتاتا الإنفلات من قبضة التّلاعب عندما كانت تخفي نيّة الناشر المقصود، واكتفوا بالترّاشق بالكلام تماما كما يحدث في عالم الكلاب الشّاردة، وبات السّؤال عن المفهوم حالة يمكن الإجابة عنها حال ظهور صورة أخرى وهكذا نحو ذهنية التّسلسل اللّانهائي للمفاهيم، في ظلّ هذه الأجواء يصبح كلّ شيء بحاجة إلى ضبط، كلّ المفاهيم فضفاضة تنفلت من تعريف محدّد أو قصد مؤطّر كونها تجمع كلّ ما هو اقتصادي وسياسي واجتماعي وإنساني وراء الميبت.

يكن خطر الصّورة الأوّل في وجودها على شكل فكرة أوليّة مرتبطة بغاية معيّنة؛ تجتمع فيها مكوّنات كثيرة ومختلفة تتراوح بين طبيعة الحركة داخلها والخطاب المرافق لإيماءات الصّورة، وذلك من أجل إحداث شلل نصفيّ في دماغ المشاهد وجعله يتماهي مع كلّ ما تقذفه الصّورة من عبث وهنا تبدأ عبوديته بتغييب النّقد النّاتج عن فقر في التّحليل، إلى الحد الذي لم تعد في النّفس أيّ رغبة في إثارة سؤال عن حرّية المشاهد الذي كبّدتته الشّهوة؛ بات الشّباب يميلون إلى متابعة عروض ابفتيات المثيرات ومع زيادة إطلاق الدّوبامين بشكل متكرّر يصبح الدّماغ مدمنا على نفس التّأثير، ويعود ليطلبه في كلّ مرّة كما لو كان مدمنا على ذلك النّوع من الصّور والمشاهد، وهو في ذلك سينتهي إلى مشاكل نفسيّة كبيرة تعيقه لاحقا في تحقيق ذاته تحقيقا يتلاءم وطبيعة العصر، ومن بين تلك المشاكل نذكر صعوبة التّركيز وإهمال الذات، الإفتقار إلى التّحفيز والميل إلى اللّامبالاة، وكلّ هذا ينتهي طبعا إلى قبول سلبيات وتناقضات المجتمع (الخدّرات، الشّدوذ...)، من هنا يتضح وجه الاختلاف بين صورة تتحدّث عن شيء حقيقي وأخرى تتحدّث عن شيء مفبرك، حيث يميل شبابنا اليوم إلى الأخذ بلهو الحديث والباطل من المعروضات، وإن حدث وصادف في طريقه شيئا من الصّواب فسيستغربه ويستنكره كما لو كان ينتمي إلى عالم مفارق، لكن تعود الصّورتين فتختلفان على مستوى المبدأ من حيث أنّ للأولى أفرادا في عالم الواقع بينما الثّانية خالية تماما من المحتوى الواقعي، وهو الأمر ذاته من يحتم علينا أن نفرّق بين الصّدق المتعلّق بالواقع والصّدق المتعلّق بالمشاعر، ففي الحالة الأولى يكون القول مطابقا للحالة الواقعة بينما في الحالة الثّانية لا يمكن تصوّر حالة مناقضة، لأنّ مدى الصّدق فيها يتعلّق بكلّ الحالات الممكنة التي تقوم بدغدغة المشاعر وهو ما يجعلنا نقول أنّ موضوع العقلانيّة في هذه الحالة هو التّوضيح المنطقي للصّور بمعنى أنّ:

- الصّورة ليست قالبا جامدا وإنّما هي نشاط وفاعليّة.

- تتكوّن المشاهد من توضيحات.

- لا تكون نتيجة الصّورة عددا من المشاهد وإنّما هي توضيحات للمشاهد.

لهذا السبب، عندما تسترجع الذات بعض الصور التي شاهدتها من قبل، وهي صور لمشاهد عنيفة لا تعكس صوراً مقبولة عن الواقع، هي صور نراها اليوم كثيراً، لقد أصبحت مهنة اليوم الذي أكتب فيه هذه السّطور، وإذا لم نعد نرى غير هذه الصور اليوم، فذلك لأن إنتاجها أصبح مربحاً بدرجة تثير العجب، لأن مصور العري عاد حراً يصور كما يشاء عندما تقاعس المجتمع وتحطّمت الأسرة، بل يجب أن يكون معتمداً على المؤسسة التي تغطّي الحدث معه؛ ويجب على الصّورة الإمتثال للأوامر، بل وحتى أوامر هذه القيادة: أصبحت الصّورة حرباً بيروقراطية لا تخضع لشروطها كرسالة فقط وإنّما تنتهي إلى حقل ملغّم بالأسباب، لقد انتقل التصوير من حيادية المصور إلى سلطة التّنفيذ ويتطلب عدم التّنفيذ بتصريح فوريّ، إنّ البيروقراطية تحمي السلطة على حساب الشخص الذي يفحصها وهو الأمر الذي يجعل حقيقة الصّورة تعاني، ولذلك فإنّ البيروقراطية والسلطة تضعان الصّورة والأخلاق في خطر؛ بعبارة أخرى فإنّ الخطر الحقيقي لا يكمن في الصّورة أو صاحب الصّورة بقدر ما يتعلّق بالمكتب الذي يسيّرها وينشر محتوياتها: إذ متى توافقت شروط المكتب مع الصّورة تمّ النّشر، ومتى امتنعت الشّروط أضحت الصّورة بين قضبان الرّأي.

7- الصّورة والثّقافة:

أصبحت الثّقافة اليوم متركّزة في أماكن معيّنة من العالم، وغالبا ما تقاس ثقافة تلك الأماكن وتحضّرها بمستواها الإقتصادي والمعيشي، فنحن لم نسمة ببلد يعاني ويلات الفقر تمّ تصنيفه في خانة الثّقافة والتحضرّ، يمكن أن نتفق إلى هذا الحدّ في هكذا تصنيف، لكن الغريب في الأمر هو ما ينبت اليوم في مشتلّة الأسر المسلمة خاصّة وأنّ الكثير من المشاهد تثير القلق حيث اقترنت سلوكات المراهقين بأفكار وقيم غربيّة – باعتبارها دولا صناعيّة فاحتكمت إلى ثقافات مفروضة من منطبق مادّي، وهو ما رسم جدارا فاصلا بين قدسيّة الأسرة والحريّات الشّخصيّة، وهو ما جعل من الصّورة الرّاعي الرّسمي لسلوك شباب الألفية الثالثة وهي صورة كثيرا ما تأتي غامضة أو بالأحرى مشوّهة لأنّها لا تتناسب مع المحتوى القبي لمجتمعاتنا، فكلّ ثقافة هي ثقافة منسجمة لأنّها تتناسب مع الأهداف التي تنشد والمتّصلة باختياراتهم ضمن تشكيلة الاختيارات الثّقافية الممكنة (كوش، 2007، صفحة 63)، وتقوم بصياغة قوالب جاهزة حسب غاية الطّلب قصد فتح الطّريق واسعا أمام رغبات سياسيّة وبورجوازيّة تغدّي من إفقار سلوكات المراهقين من محتوياتها القيميّة والمفهوميّة على حدّ سواء، لذا لا بدّ من استعمال خطّة منهجيّة هادفة تقوم أساسا على التّوجيه والتّخطيط.

من الإرادة العامّة للنّاس تنبثق إرادة البقاء أو الإضمحلال، وهي تختلف نوعا ما عن إرادة القهر التي تفرضها الأيديولوجيّات المختلفة وتمتلك خصائص تنفرد بها وكأنّنا أمام شخص معنويّ مهمّته تأليف الجماعة كيانا وإطارا من جهة، تفترض منظومة الإنتباه الرقابي وضع تميّز محدّد من جهة أخرى، إذ هناك من ناحية آليات نفسيّة يمكنها أن تؤدّي دورا بالنّسبة للقدرة على الدّخول في الثّقافة ولكّنها مشتركة مع أنواع أخرى ليست لها ثقافة (أونجر، 2025، صفحة 97).

لكن ماذا لو كانت إرادة الأفراد بدون روح جرّاء ضعفها أمام الصّورة والتي تعتبر بدورها أحد المكتسبات العقلانيّة للأفراد في إطار المؤسّسة أو الأسرة؟

لابدّ من تجاوز محتوى الصّور والتركيز على ما هو ثقافي من أجل إزالة غموض المسائل التي تكثُر فيها الحركة على حساب الفكرة، إذ أنّ الثقافة تميل إلى الموقف القائل بأنّ التربية والموروث الشّعبي هما الجديران بتنميط السّلوّك وأنّ سبيلنا إلى فهم أنفسنا لا يمكن أن تزرّحه صورة عبثيّة، ويبدو واضحا من النّاحية التاريخيّة أنّ نموّ المعارف والثقافة والقدرة المتزايدة على استخدام المناهج العلميّة مرتبط ارتباطا وثيقا بنموّ النّظر إلى الكون من زاوية ثقافيّة، إذ لابدّ من محاكمة الفهم المتعلّق بفكرة ثقافة المزيّنات ومحاولة تقريب الدّهنيّات الفرديّة سعيا إلى تحليل سينكروني ودياكروني يؤمن بالقراءة والتحليل والنّقد، حيث يتعلّق الموقف بنوع من النّشاط الفكري الذي يسلكه الإنسان قبل تلقّي تلك الرسائل المشقّرة التي تبعثها الصّورة، بمعنى تحليل الوضعيّة واختبار شتّى جوانبها بكلّ عناية ودقّة قصد اتّخاذ قرار مؤسّس للثقافة في علاقتها بالحضارة، فعندما يفكّر الإنسان بهذه الطّريقة تتكوّن لديه نظرة واضحة بالأسباب تمكّنه من شرحها وإثباتها فيما بعد، وكذا العمل وفق نظام معيّن يجعل من طريقة التّفكير مرتبطة بالغايات، وهكذا نرى أنّ مفهوم الثقافة يرتبط وفق هذا الإستعمال لمجتمع معيّن وتحديد الهوية، في حين أنّ مصطلح الحضارة يستخدم إلى مجتمعات أكثر اتساعا وشمولا في المكان والزّمان (عماد، 2006، صفحة 35)، ومن مفارقات العصر أيضا أصبحنا نتحدّث عن مصطلح "الحضارة الفاسدة" وذلك عندما نقابلها مباشرة بانهييار القيم، لكنّ الصّواب هو في عدم نعتها أصلا بالحضارة أو الثقافة وهنا تعود لتلتقي الحضارة بالثقافة كوجهين لعملة واحدة اسمها "الأخلاق". نحن بحاجة -مرّة أخرى- إلى تحديد دقيق لكلّ المصطلحات التي نعيش معها كي نتجاوز خلفيات الصّور، ونؤكّد بكلّ ما أوتينا من قدرة على ضرورة ربط مشاعرنا وسلوكياتنا بتعاليم الأسرة المتشعبة بقيم الدّين والأعراف، لأنّ حضورنا مرهون بمدى تمسّكنا بالعروة الوثقى ضدّ التّيّارات الجارفة التي تضعنا موضع الملتبس والحائر بين هيبة الأخلاق وبريق التمدّن المغشوش.

فالسّلوّك الإنساني أكثر تعقيدا من أن يفسّره قانون واحد وهو الأمر الذي يستوجب الإعتماد على أكثر من مبدأ للوقوف على علله المختلفة واستخلاص شروطه الموضوعيّة، لذا فإنّ الرّغم المعرفي لثقافات بديلة يصعب التّدليل عليها وفق الآليات والمعايير المعقولة إلّا من خلال الدّور المنهجي للفهم والتي لم تكن بعد قد وصلت إلى اكتمالها من الوجهة النفسيّة والمعرفيّة، ممّا يجعلهما حبيسيّ آليات وتقنيات محدّدة تتحدّد من خلال المواقف السلوكيّة، وهو ما سينتهي في النّهاية إلى وضع الثقافة لقوانين تساعد على التّحكّم في السّلوّك وتوجّهه صوب غايات ومقاصد محدّدة سلفا وذلك بدلا من أن تحدّده الصّورة، هذا الشّروط المتعلّق بالأسبقيّة يمكننا من خلاله التّعبير عن مساعي الثقافة في علاقتها بالأخلاق والتي كثيرًا ما ترتدّ إلى شروط الفهم العام، وفي هذا يحقّق النّاس الشّروط الضّروري لهم ليكونوا مع العالم بقدرتهم على الإبتعاد الموضوعي عنه، فبدون هذا التّموضع والذي يوضع له الإنسان نفسه أيضا، لظّل الإنسان محدودا بكيونونيته في العالم، ومعتقدا لكلّ المعرضين، معرضا نفسه ومعرفته بالعالم (باولو، 1995، صفحة 71). من هنا فإنّ معيار الأخلاق ينحصر في مدى نجاعته على فرض تطبيقاته على معيش النّاس إلزاما ودعوة بعيدا عن سبل المقارنة مع الأحوال المحيطة بين الدّوات المتفاعلة في تمفصلها في إطار المشاهد (صورة، إعلاما،...)، وإذا ما

استطاعت الأخلاق بكيفية خاصّة أن تتوقّع نوعاً جديداً من التفاعل بين الثقافة والمشاهد، فإنّ نجاعتها كنشاط مشروطة بمدى قدرتها وجرأتها على تغيير الواقع لصالح الثقافة الأصل.

8- خاتمة:

إذا كانت الصّورة طريقة للتعبير عن الواقع بما تحمله من محتوى، فإنّ أحد إبداعات الإنسان ستكون منصبة على ضرورة استنطاق الأفكار وجعلها متناسب مع يحمله الإنسان من خصوصيات؛ كالبحث عن إقامة الفهم والوقوف على معاني الرسائل؛ هذه الممارسة الإنسانيّة لم تكن وليدة الفلسفة والعقل المعاصر، ففي دروس المحادثة أيام المدرسة الابتدائيّة كانت الصّور المعلقة على السبّورة تستعمل لتمكين التلاميذ من محاورة خيالهم بتركييب لغويّة من شأنها أن تنمي المشاعر والأفكار وتذكي فهم حبّ السّفر بين التراكيب والمفردات في عالم مليء بالتأويلات وإنتاج المعاني، فقد كنّا لنقبل الصّورة لو كانت تعبيراً عن الواقع الذي نعيش فيه دون إضافات من شأنها أن تخدش الحياء أو تمسّ الجوهر الإلهي في الذات الإنسانيّة، ويكفي أن تتحوّل الصّورة إلى نافذة متى أمكننا النّظر من خلالها بوجدنا أنّها تخفي أكثر ممّا تبدي، إذ أنّها تسعى لتغيير شيء ما رغم أنّها ثابتة لا تتغيّر.

ربّما كان من الضّروري أن نبحث عن ماهية العقل ونفحص هذا المصطلح تاريخياً، وأن نتبنى موقفاً نقدياً إزاء أيّ مشروعيّة يمكننا من خلالها معرفة الأساس التّأويلي بطريقة فلسفيّة، لا بدّ من تتبّع التطوّر الحاصل على مستوى المصطلح في كلّ حقبة تاريخيّة، أين بدأ كحدث فلسفيّ في الفلسفة اليونانيّة وانتهى كمنهج نقدي في المعرفة مع الفلسفات الحداثيّة، من هنا فإنّ كلّ نظريّة للحقيقة تعتبر ضرباً من العبث، وتجعلنا نتخلّى بالتّالي عن الطّموح الإبستمولوجي الذي يقتضي تقويم العلاقة بين أفكارنا ومحتويات الصّورة وكذا العالم الذي نعيش فيه، ومنه يتحوّل سؤال الفهم إلى سؤال للمعايير لا سؤالاً للحدود؛ إذ لا يجب أن ننظر إلى هذا الأخير كهوّة تفصل بين الصّورة والواقع، فهناك دوماً مكاناً لتحليلات معقولة يمكن أن تقوم العرض (الصّورة) من أجل الجوهر (الأخلاق) ما دامت الموضوعيّة تخضع للواقع متماهية مع الأطر الاجتماعيّة بصفة عامّة، حيث أصبح من الصّعب بمكان أن نميّز بين الرّأي والمعرفة، وهكذا يتمّ تعويض المقاربة الصّورة/الفهم بتصوّر يبحث في العلل الأولى غرضه تحليلات الحالات التي يكون فيها العمل على تشفير المحتويات ممكناً.

أصبح الإنسان المعاصر يميل أكثر إلى الخطاب البصري ويستلهم أفكاره من المشاهدة والإستماع أكثر من النّص وتعاليم الدّين والأسرة، لذا ووعياً بهكذا علاقة بين الصّورة وفهم الصّورة وبين تحليل العقل وشروط الواقع، نحن بحاجة إلى عقلنة المحتويات على الصّيغة التّراثيّة والأخلاقيّة وجعلها مهذّبة تتماشى مع مناخ العائلة، وكذا إدراج الفاعليّة التّحليليّة كبديل لتلقّي كلّ الرّسائل بدون نقد ولا تمحيص سعياً نحو تجنّب ما يمكن أن نسمّيه "أمراض القطيع"، وهي حالة مضطربة من شأنها أن تولّد فهماً جماعياً عن طريق دغدغة المشاعر وتمنع في الآن نفسه كلّ أشكال الفهم العقلاني الأفقي، لذا وجب تمييز أسئلة المحتوى وأسئلة الواقع، تمييز سياق التّحلي وسياق التّفسير نظام المبادئ ونظام الغايات من خلال:

- اعتماد التّحليل العميق قصد تحرير الوعي من مغبّة التبعية للإفراط الحسّي وإسناد الوعي بين جميع الدّوات في المجتمع لاستيفاء شروط الفهم.
- محاربة كلّ أشكال الشّدوذ والبذاءة من طرف مؤسّسات الدّولة، لأنّ استمرارية العلم بدون ضوابط ينتهي إلى موت نشاط الدّات.
- من جهة أخرى تحمل الصّورة طابعا أدائيّا يجعلها في علاقة متعدّية تتضمّن العلوم الطّبيعيّة والفلسفة والعلوم الإجماعيّة، بحيث أن أيّ تغيير يحدث في المضامين والمحتويات ينعكس مباشرة على المنهج المتبع والقراءة التي تتضمّنها الفلسفة والعلوم الإجماعيّة والإنسانيّة؛ فعلى سبيل المثال تمّ التّبشير بفوائد الإستنساخ بإشهارات وصور كثيرة، وفي ميدان علم النفس تمّ إظهار الوشم كعلامة تحضّر وتمدّن، وظهرت بوادر دراسات كثيرة تحاول التصدّي لهذه الآفة التي أصبحت تلتهم أجساد المراهقين والشّباب، وهي مسألة يمكن أن نفهمها من خلال معنيين:
 - الوجود الفعلي والواقعي للصّورة لابدّ أن يكون مرهونا بشروط القيم على اختلاف أنواعها، وعلى الصّورة أن تتكلّم عن عالم واقعي موجود أساسا بكلّ تناقضاته ومشكلاته، بعيدا عن القولية والتّسييس.
 - ارتباط موضوع المعرفة بالدّات العارفة، كما أنّه كي نتمكّن من الحديث عن النّظرة الإجماعيّة لابدّ من توضيح التّعارض بين علم شروط الدّات وغاية الصّورة في إطار مجموعة من العلاقات المؤسّسة.
- يعتبر التّحليل إذن القوّة المنتجة لمقولات الدّات باعتبارها صورة أو نصّا أو كيانا لغويّا؛ فبدون الإحتكاك مع النّصوص (الفلسفيّة أو الدّينيّة) وعملية الإحتكاك إليها لا يكون الموضوع معطى مباشرا، وبدون الفهم لا نستطيع التّفكير في الموضوع، وهي بمثابة اختزال الوقائع والظّواهر إلى معطيات أفهوميّة تنطبق على المفاهيم والمعاني التي تحملها الصّورة، غير أنّ إمكان هذه المعاني لا يمكن أن ندرك عن طريق هذه الصّيغة التّفاعليّة "صورة/ذات" بدون أن نعرف عنهما شيئا، بل ينبغي بدلا من ذلك أن ندرك من حيث أنّهما جزء من العالم المعرفي وأن تفهم من ناحية تحدّدها بظواهر أخرى مثل الرّغبات والميول من جهة، والواقع المعيش جهة أخرى.

9- قائمة المراجع:

- Floyrac, L. d. (1858). Rationalisme devant la raison. Paris: Dentu.
Gulley, N. (1968). The philosophy of socrates. London: Macmilian.
Joly, M. (2009). introduction à l'analyse du l'image. Paris: Armond colin.

باولو فريري. (1995). العقل الثقافي في سبيل الحرية. القاهرة: مركز الدراسات والمعلومات القانونيّة لحقوق الإنسان.

جيمس جينز. (1981). الفيزياء والفلسفة. القاهرة: دار المعارف.

- دندس كوش. (2007). مفهوم الثّقافة في العلوم الإجماعية. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- روبرت أونجر. (2025). الثّقافة منظور دارويني. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- ريجيس دوبري. (1994). حياة الصّورة وموتها. الدّار البيضاء: إفريقيا الشرق للنّشر.
- عبد الرحمان بدوي. (1984). موسوعة الفلسفة. القاهرة: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عبد الغني عماد. (2006). سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- فيري باولو. (1995). العقل الثقافي في سبيل الحرّية. القاهرة: مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان.